Route Educational & Social Science Journal
Volume 6(2) ; January 2019

فلسفة البعد الاجتماعي في مصادر العصر العباسي

The philosophy of social dimension in the sources of the Abbasid era

أ. م . د . ندى موسى عباس

قسم التاريخ

كلية التربية للعلوم الإنسانية

جامعة ديالى

ملخص البحث :

ركز البحث على بيان الإرهاصات الأولى للفكر الاجتماعي (جذوره وأبعاده) عند الكتاب والفلاسفة والمؤرخين المسلمين في العصر العباسي . اذ يعتقد الباحث انه نظرا لدرجة التشابه بين ما طرحوه وبين ما توصل اليه ابن خلدون ؛ فمن الممكن ان تكون هذه الإرهاصات قد أثرت في تشكيل المادة الأساسية للفكر الاجتماعي عند أبن خلدون ، وساعدته في صياغة نظريته الاجتماعية

إن الفكر الاجتماعي عند المسلمين في العصر العباسي هو عبارة عن موروث عربي تداخل مع ما ترجم من فكر وثقافة وفلسفة الأمم الأخرى التي انصهرت ببودقة الإسلام . وقد تنوعت بدايات اهتمام المفكرين والفلاسفة والمؤرخين والكتاب والأدباء المسلمين بالجوانب الاجتماعية وتباينت محاولاتهم في تحليل أسس وقواعد الطبقات الاجتماعية وتصنيفها .

لقد بدأ مفكرو وفلاسفة وأدباء العصر العباسي بادئ ذي بدء بتشخيص أسباب تكون المجتمعات البشرية ، ومن ثم تقسيم الطبقاتوبيان طبيعة تشكلها، ليؤسسوا بذلك معرفة ثقافية اجتماعية تراكمية ، وليعرجوا بعدها إلى بيان خصائص وأهمية كل طبقة كما جاء في نهج البلاغة ومع ان التاريخ الاجتماعي لم يكن له في مصادر العصر العباسي اتجاها واضحاً مستقلاً ، إلا ان البعد الاجتماعي كان أمرا بحكم الواقععند المؤلفين ، نظرالتأثيرات الظواهر الاجتماعية التي لا تنفك تلقي بظلالها عليهم سواء بطابعها الديني أو الاقتصادي أو الثقافي .

قسم البحث إلى أربعة محاور تناول المحور الأول تكون المجتمعات ، فيما ركز المحور الثاني على مسألة إصلاح العامة ، وبين المحور الثالث طبيعة الاختلافات بين الناس ، وعرض المحور الرابع أنواع من التقسيمات الطبقية في المجتمع الإسلامي التي تناقلتها مصادر العصر العباسي ، وإشارات المصادر للطبقة الضعيفة في المجتمع العباسي المتمثلة بالمهمشين .

الكلمات المفتاحية : تاريخ . مجتمع . فلسفة

Research Summary :

The research focused on the first indications of social thought (its roots and dimensions) among Muslim writers, philosophers and historians in the Abbasid period.The researcher believes that due to the degree of similarity between what they presented and Ibn Khaldun's findings, it is possible that these implications have influenced the formation of the basic material of Ibn Khaldun's social ideology and helped him formulate his social theory.

The social thought of Muslims in the Abbasid era is an Arab heritage that overlaps with the translation of the thought, culture and philosophy of other nations that have broken the piety of Islam.The beginnings of the attention of Muslim thinkers, philosophers, historians, writers, and writers varied from social aspects to their attempts to analyze and classify the foundations and rules of social classes.

The philosophers and philosophers of the Abbasid period began first by diagnosing the causes of human societies, then dividing the layers and determining the nature of their formation, thus establishing a cumulative cultural and cultural knowledge. They then delineated the characteristics and importance of each class as stated in the approach of rhetoric.In the sources of the Abbasid era a clear trend independent, but the social dimension was de facto in the authors, given the effects of social phenomena that continue to cast a shadow on them, whether religious, economic or cultural.

The fourth axis focused on the issue of public reform. The third axis focused on the nature of the differences between the people. The fourth axis presented types of class divisions in the Islamic society, which were transmitted by the sources of the Abbasid period, and references of sources to the weak class in societyAbbasids represented by the marginalized

المقدمة

إن غاية البحث هي بيان الإرهاصات الأولى للفكر الاجتماعي (جذوره وأبعاده) عند الكتاب والفلاسفة والمؤرخين المسلمين في العصر العباسي .اذ يعتقد الباحثانه نظرا لدرجة التشابه بين ما طرحوه وبين ما توصل اليه ابن خلدونمن الممكن أن تكون هذه الإرهاصات قد أثرت في تشكيل المادة الأساسية للفكر الاجتماعي عند أبن خلدون ، وساعدته في صياغةنظريته الاجتماعية.

لا شك أنالفكر الاجتماعي بعمومه هو فكر تراكمي أستقى مادته ممن سبقه ، ولن يقف عند مرحلة تاريخية محددة طالما أن المنظومة الاجتماعية في تبدل وتغير مستمر .وإذن فالفكر الاجتماعي عند المسلمين في العصر العباسي هو عبارة عن موروث عربي تداخل مع ما ترجم من فكر وثقافة وفلسفة الأممالأخرى التي انصهرت ببودقة الإسلام .وقد تنوعت بدايات اهتمام المفكرين والفلاسفة والمؤرخين والكتاب والأدباء المسلمين بالجوانب الاجتماعية وتباينت محاولاتهم في تحليل أسس وقواعد الطبقات الاجتماعية وتصنيفها .

العلم يصف ويحلل وعندما يصل إلى جوهر المسائل ومكنونها وأبعادها وآفاقها يستعين بالفلسفة فالعلم الأول علم وصفي والعلم الثاني هو فلسفة العلم . ومن هنا تبدو دراسة الفيزيولوجيا الاجتماعية*Socialphysiology*أسمى هدف للباحثين في تاريخ المجتمعات والحضارات البشرية . ومع أن التاريخ الاجتماعي لم يكن له في مصادر العصر العباسي اتجاها واضحاً مستقلاً ،إلا إن البعد الاجتماعي كان أمرا مفروضاً على المؤلفين بحكم تأثيرات الظواهر الاجتماعية التي لا تنفك تلقي بظلالها عليهم سواء بطابعها الديني أو الاقتصادي أو الثقافي.

قسم البحث إلى أربعة محاور تناول المحور الأول تكون المجتمعات ، فيما ركز المحور الثاني على مسألة إصلاح العامة ، وبين المحور الثالث طبيعة الاختلافات بين الناس ، وعرض المحور الرابع أنواع من التقسيمات الطبقية في المجتمع الإسلامي التي تناقلتها مصادر العصر العباسي ، وإشارات المصادر للطبقة الضعيفة في المجتمع العباسي المتمثلة بالمهمشين.

أولا : تكون المجتمعات :

يرى الفارابي[1]أن الإنسان يحتاج إلى المجتمع لأنه لا يستطيع تحقيق وجوده وكماله بمفرده، ويعتقد الفارابي أن أساس الاجتماع هو الحاجة الفطرية للإنسان إلى المأكل والملبس والمأوى والأمن وغير ذلك ، مما يضطره إلى التعاون مع أفراد بني جلدته لتأمين ذلك ، عندها ينشأ المجتمع الذي يتألف من أفراد عديدين . [2]

ويشير الفارابي إلى وان هناك نوعين من الاجتماعات :اجتماعات ناقصة واجتماعات كاملة وان الاجتماعات الناقصة هي التي لا تكفي لتوفير الكمال والسعادة كالقرية والمحلة والمنزل أما الاجتماعات الكاملة فهي تضمن للفرد الخير الأفضل والكمال والأقصى ،والاجتماعات الكبرى بدورها تنقسم إلى اجتماعات عدة : منها الكبيرة وهي اجتماع البشر في الأرض المعمورة والوسطى وهي اجتماع أمة في جزء من المعمورة ، وصغرى وهي مسكن الأمة الأول. [3]

---

(1)(الفارابي) : هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان المتوفى سنة ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م ، فارسي الأصل من مدينة فاراب فيما وراء النهر . ومع إن والده كان قائداً بالجيش ؛ لكن الفارابي قنع أن يكون حارساً ببستان في دمشق ، مقابل تدارسه للعلوم والفلسفة ، وقد بقي يتدارس الفلسفة على قنديل الحارس حتى عندما قربه سيف الدولة الحمداني منه موفرا له الجاه والمال ، على انه لم يأخذ منه سوى أربعة دراهم . وقد تصوف في أخر عمره . وتأثر به سيف الدولة عندما مات وبكى على قبره ، للفارابي فلسفة مستقلة خاصة به ؛ فكان أول مسلم يؤلف فلسفة منسوبة له ، وقد دونها في كتاباته كمثل كتابه " المدينة الفاضلة ". وكان مبتدأ أمره مفسراً لكتب أرسطو وأفلاطون . للمزيد انظر : النديم ، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) : الفهرست ، تحقيق يوسف علي الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الثالثة ، ٢٠١٠ م ، ص ٤٢٣ ؛ ، البيهقي ، ظهير الدين (ت ٥٦٥ هـ / ١١٦٩م) : تتمة صوان الحكمة أو تاريخ حكماء الإسلام ، تحقيق ونشر محمد كرد علي ، دار بيليون ، باريس ، ٢٠٠٧ م ، ص ص ٩٩ – ١٠٠ ؛القفطي، أبي الحسن جمال الدين علي بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) : أخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق عبد المجيد دياب مؤسسة الخانجي ، مكتبة ابن قتيبة ، مصر، الكويت ، مكتبة المثنى بغداد . ج ٢ ، ص ص ٣٨٢ – ٣٨٥ ؛ أبن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبراهيم بن لأبي بكر البرمكي الأربلي (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، م ٤ ص ص ٣٨٧ – ٣٩٠ .

(2) الفارابي : آراء المدينة الفاضلة ومضاداتها ، تحقيق علي بو ملحم ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ م ، ص ١٢

(3)العاني ، عبد اللطيف عبد الحميد: أساطين علم الاجتماع من العرب المسلمين والعلماء الأوربيين والغربيين ، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ، بلا رقم الطبعة ، ١٤٣٥ هـ / ٢٠٦ م ، ص ٢٦ .

لم يختلف مسكويه[٤] عن الفارابي في نظرته إلى إن الإنسان لا يبلغ كماله إلا مع أبناء جنسه وبمعونتهم ؛ فالاجتماع الإنساني عند مسكويه يجسد المبدأ الخلقي المرتكز على محبة الإنسانية ، ومحاولة بلوغ كمالها عن طريق التعاون والمحبة الاجتماعية . والصداقة عند مسكويه شأنها شأن أي فضيلة لا تظهر آثارها إلا في جماعة أو مدينة فلا تظهر آثارها في عزلة الراهب المتنسك الذي يعتزل المجتمع وينفر عن الجماعات . [٥]

سبق مسكويه معاصريه برؤيته إلى أهمية العلاقات الاجتماعية ، وهي إنما تقوم على المحبة الضرورية لتآلف الكثير من الناس ، وقد بين أنواع من هذه المحبة وشدتها وسرعتها وتكوينها ودوامها فضلا عن تركيزه على العلاقة بين الحاكم ورعيته . ولا نستبعد تأثره بآراء أرسطو . وقد شدد مسكويه على رأيهبان الاجتماعية ضرورة خلقية ، والأفعال الفردية ليست لها قيمة خلقية كالتي تحصل في الشعائر الجماعية التي تقوي الشعور بالاجتماعية ؛ فصلاة الجماعة في المساجد لها فضل اعظم من صلاة الفرد . ومن هنا نلمس أنمسكويه يبني فلسفته الأخلاقية على أسس اجتماعية رشيدة . [٦]

لقد توصل مسكويه بملاحظاته ونظرته التفاؤلية الناضجة ، إلى مسألة تكوين أواصر المحبة بين الناس ، أثناء اجتماعاتهم بالمناسبات والأعياد ، ولهذا دعى مسكويه إلى أهمية التركيز على ضرورة اجتماع الناس في المناسبات الدورية ، كالصلاة والمآدب والحج والأعراس والمآتم لكونها مصدراً مهماً للالتزام بالمحبة وبالشرائع والعادات والتقاليد في كل المجتمعات مهما اختلفت وتنوعت في ذلك . [٧]

---

(٤) (مسكويه) : هو أبو علي أحمد بن يعقوب المتوفى سنة ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م ، مؤرخ أشتغل بالطب والفلسفة والمنطق والكيمياء والفلك والأدب ، كتب في التاريخ والسعادة والأخلاق والأدوية والأشربة . له تجارب الأمم وتعاقب الأمم وتهذيب الأخلاف وتطهير الأعراق والهوامل والشوامل . للمزيد أنظر : الزركلي ، خير الدين : الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السابعة عشر ، ٢٠٠٧ م ، ج ١ ، ص ص ٢١١ – ٢١٢ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة محمد ثابت الفندي وأحمد الشنتناويوابراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس ، بلا دار النشر ، بلا مكان النشر ، بلا رقم الطبعة ، ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م ، م ١ ، ص ص ٢٧٧ – ٢٧٨ .

(٥)العاني، عبد اللطيف عبد الحميد: المصدر السابق ، ص ٤٩ .

(٦) العاني ، عبد اللطيف عبد الحميد : المصدر السابق ، ص ص ٥٠ – ٥١ .

(٧)يحيى، جلال : تاريخ الفكر الاجتماعي ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، بلا رقم الطبعة ١٩٨٤ م ، ص ص ٨٤ – ٨٥ .

أما أبن سينا [٨]فيبين وجهة نظره في كيفية تكون المجتمعات عن طريق تكون الأسرة ، التي تبدأ بحاجة الإنسان إلى أذخار الفائض عن حاجته من القوت جعلته يحتاج إلى مكان يحتفظ فيه هذا الفائض وعندها ظهرت الحاجة إلى المساكن ، وأحتاج أيضا إلى من يستخلفه لكي يحفظ هذه المدخرات ممن يثق به وممن يسهر على حراسة ما امتلكه ، وعليه أن يختار من يمكن ويرتاح اليه ضميره ، وان الذي تتوفر فيه هذه الشروط مجتمعه هي الزوجة التي تعد شريكة حياته في كل شيء . وهذا الذي أدى إلى نشوء الأسرة وأنجاب الأولاد وازدياد الحاجة في الوقت نفسه إلى مزيد من الادخار ، ويبرر الزواج بأنه ضرورة لصيانة التناسل وحفظ النوع والتعاون المشترك على أسباب الحياة . [٩]

ويستنبط أبن سينا أن تنوع حاجات الناس من مأكل وملبس ومسكن وتزايدها ، يؤدي إلى تزايد دفع الناس إلى التعاون فيما بينهم ، وهذا التعاون لا يتم إلا بتفاوت كفاءات الأفراد . وإن في هذا التفاوت حكمة ربانية من أجل أن يسخر الناس بعضهم بعضا ولو كانوا ملوكاً لتفاوتوا فيما بينهم ، ولو كانوا سو لهلكوا ، ولو تساووا في الفقر لماتوا بؤساً ، أو تساووا في الغنى لما أستخدم أحد غيره ، وعليه لزم الاشتراك في المسؤولية الاجتماعية . ولهذا فإن طبيعة المجتمع تقوم على التفاوت في القدرات ، والتنوع في التخصصات وتقسيم العمل الجماعي والتعاون المشترك . [١٠]

ويأتي أبن رشد [١١]ليؤكد الرأي في أن الإنسان مدني بالطبع ؛ ولذا فلا يمكن لأنسان واحد أن يحصل أي من الفضائل الأخلاقية الرفيعة ، كفضيلة ذاتيةينفرد بها من غير أن يعاونه في ذلك أناس آخرون وفي هذا

---

(٨) (أبن سينا) : هو شرف الملك ابو علي الحسين بن عبد الله البخاري ، الملقب بالشيخ الرئيس الطبيب الفيلسوف ، كتب سيرته الذاتية بنفسه ، برع في احتواء العلوم في سن مبكرة جدا من عمره ؛ فمنذ حداثته أستقل عن أساتذته وأنقطع للدرس بمفرده . أشتهر كطبيب وهو لم يبلغ السابعة عشر من عمره صنف في علوم عدة أكثر من مئة (١٠٠) كتاب ؛ في الطب والرياضيات والهندسة والمنطق والفلسفة والنفس والهيئة (الفلك) والموسيقى واللغة ويعد بعد الكندي والفارابي في الفلسفة . يأتي كتابيه" القانون " و" الشافي " في الطب بمقدمة كتبه التي ما تزال متداولة لليوم في جامعات الشرق ، فيما بقيت جامعات الغرب تتدارسها حتى القرن السابع عشر الميلادي . ومن كتبه الأخرى " القولنج " ، و " رسالة الطير " و" رسالة حي بن يقظان " و" مختصر المجسطي " و" كتاب العلائي في رصد الكواكب". للمزيد أنظر : البيهقي : المصدر السابق ، ص ث ٥٢ – ٧٢ ؛القفطي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ص ٥٤٦ – ٥٦٣ ؛ الأهواني، أحمد فؤاد: في عالم الفلسفة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٩ م ، ص ص ٩٥ – ١٠٠ ؛ الزركلي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ص ٢٤١ – ٢٤٢ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، ج ١ ص ص ٢٣٠ ، ٢٠٦ – ٢١٠ .

(٩)الخشاب، احمد: التفكير الاجتماعي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ م . ص ٢٥٢ .

(١٠)الخشاب ،أحمد: المصدر السابق ، ص ١٧ .

(١١)(أبن رشد) : هو أبو الوليد محمد بن أحمد عربي مسلم أندلسي المتوفى سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م من أسرة فقهية ، وهو فيلسوف وقاضي وفلكي وفيزياوي ، له مؤلفات عدة في هذه العلوم لاسيما في الأخلاق باعتبارها أساس السعادة . للمزيد أنظر : محمد عابد الجابري

يؤكد أبن رشدأنالفضيلة لا تتم إلا في المجتمع ، وان الناس لا يتم وجودهم إلا بالاجتماع والاجتماع لا يمكن إلا بالفضيلة ؛ فأخذهم الفضائل أمر ضروري لجمعهم ، ومن هنا تتكون سنن الاجتماع وهي المحبة والتعاون ، ولإقامه هذه السنن شرع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولاشك في تجمع المسلمين للصلاة سيتحقق الجزء المهم فيإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ادن فالتقليد في السلوك الذي اظهر ما يكون في التجمعات له دور كبير في ترسيخ فضائل المجتمع ، [١٢]وان الأخلاق ترتبط بالحياة الاجتماعية وتنبثق من صلب التفاعلات الاجتماعية ، حيث يقوم كل مجتمع بفرض قيم ومعايير أخلاقية تنسجم مع طبيعته الاجتماعية وتتناغم مع فلسفته الأخلاقية . [١٣]

ثانياً : نظريات إصلاح العامة:

يستند التاريخ الاجتماعي في قراءاته على النصوص التاريخية والفلسفية والفكرية والأدبية والدينية وهذه النصوص هي المرجع الأول الذي تبنى عليه كل التصورات والتحليلات والنظريات .وقد يدهشنا أن نجد علماء اجتماع وباحثين في التاريخ الاجتماعي يعتمدون على ما كتبه أبو التاريخ المؤرخ هيرودوتس[١٤]*Herodotes*وما دونه الرحالة المسلمين فيمذكراتهم . [١٥]ومع ذلك فان المؤرخين في العصر العباسي وان لم يتخذوا في عمومهم أتجاهاً اجتماعيا في تدوينهم للتاريخ ، ولم يشغلهم التركيز عليه ،

: أبن رشد سيرة وفكر دراسة ونصوص ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ م ، ص ص ٢٤ ٦٧ ٢١٩ ؛ جاب الله وبلاوان حسينة عتيقة: طبيعة النظرية الأخلاقية عند أبن رشد ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم الفلسفة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة خميس مليانة، ٢٠١٤ – ٢٠١٥ م ، ص ص ٢٩ – ٣١ .

(١٢)الحمصي ، باسل : أبن رشد والتيه العربي ، مجلة رؤية سورية ، العدد ٣٠ / نيسان / ٢٠١٦ م ؛ العمري ، عبد الحفيظ: أبن رشد الحفيد هدية الشرق للغرب ، جريدة الجمهورية (اليمنية) ٢٠ / ٩ / ٢٠١٣ م ؛البنغلاح، حسن علي: أبن رشد عظمه الغرب وخذله العرب ، جريدة أخبار الخليج ، الثلاثاء ١٩ / ديسمبر / ٢٠١٧ م .

(١٣) وطفه ، علي أسعد: في مفهوم الأخلاق قراءة فلسفية معاصرة ، مجلة شؤون اجتماعية ، العدد ١١٩ السنة الثلاثين (٣٠) ، ٢٠١٣ م .

(١٤)(هيرودوتس *Herodotes*) : هو مؤرخ إغريقي يوناني آسيوي(٤٨٤ – ٤٢٥ ق . م) ، صنف كتابه في التاريخ وقد جاب معظم البلاد التي كتب عنها وعن حروبها . وقد شهد بعض معارك الحرب التي وثقها بين الإغريق والفرس . سماه حكيم اليونان شيشرون بأبي التاريخ . للمزيد أنظر :سارتون، جورج: تاريخ العلم، ترجمة ابراهيم بيومي مدكور ومحمد كامل حسين وقسطنطين زريق ومحمد مصطفى زيادة ، دار المعارف المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٦ م ، ج ١ ، ص ص ١٥٥ – ٢٦٤ ، ج ٢ ، ص ص ١٦٦ – ١٧٦ .

(١٥)سلمان ، عبد علي: الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، دار أبن الأثير ، جامعة الموصل للطباعة والنشر الموصل ، بلا رقم الطبعة ، بلا سنة الطبع ، ص ص ١٦ ، ١٨ .

بقدر ما شغلتهم هموم السياسة وشخصياتها والحكام ورجال الدولة ، إلا إن ذلك لا يعني انهم لم يصوروا بتواريخهم العامة جوانب متنوعة من واقع الحياة الاجتماعية ولو بشكل عرضي .

لقد ساعدت النصوص التاريخية الباحثين في استنباط الأفكار والرؤى وحتى النظريات ذات البعد الاجتماعي؛ فعلى سبيل المثال بين الشريف الرضي [١٦] في نهج البلاغة ما لفت الأنظار إليه ولأول مرة بمصادر العصر العباسي من خلال خطب أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) إلى أن السبب الرئيسي في فساد الرعية هو فساد حاكمها[١٧] بقوله: " فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة ، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية ؛ فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه وأدى الوالي اليها حقها عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلتمعالم العدل وجرت على أذلالها السنن فصلح ذلك الزمان وطمع بذلك بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء . وإذا غلبت الرعية واليها ، أو أجحف الوالي برعيته اختلفت هنالك الكلمة ، وظهرت معالم الجور وكثر الأدغال في الدين ، وتركت محاج السنن فعمل بالهوى وعطلت الأحكام وكثرت علل النفس ؛ فلا يستوحش لعظيم حتى عطل ، ولا لعظيم باطل فعل !! فهناك تذل الأبرار ، وتعز الأشرار ، وتعظم تبعات الله عند العباد ؛ فعليكم بالتناصح في ذلك وحسنالتعاون ". [١٨]

من تحليل هذه الرسالة نلاحظ تأكيد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) على مسألة اجتماعية غاية بالأهمية ألا وهي فساد الرعية ، ذلك الفساد الذي سيشمل كل النواحي في البيئة الاجتماعية بدءاً من التنشئة الاجتماعية ، وسيأخذ الفساد بالأتساع حتى يلحق الضرر بالملتزمين بالقيم والمبادئ والمتدينين الملتزمين بالأخلاق التربوية ، لأنهم سينادون بالإصلاح ولا حياة لمن تنادي .

المعروف أناليعقوبي بعد أن أنهى تصنيف مؤلفيه التاريخ والبلدان ، ألف لنا رسالة بعنوان" مشاكلة الناس لزمانهم " ؛ فكانت أشبه ما تكون بالنظرية الاجتماعية التي لم يسبقه اليها احد ، وربما كان ذلك بتأثير ما

([١٦])(الشريف الرضي) : هو أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي المتوفى سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م ، شاعر وفقيه كانت له إمامة بالعلم والحديث والفقه والأدب ، أشهر ما ترك من المصنفات هو " نهج البلاغة " و ديوان شعره ، بقي نقيباً للطالبيين (العلويين) حتى وفاته. ترجمت سيرته بعدد كثير من المصادر والمراجع أنظر : أبن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) : الكامل في التاريخ دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، بلا رقم الطبعة ، بلا سنة الطبع ، ج ٩ ، ص ٦١ ؛ الزركلي : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٩٩ .

([١٧])الفكيكي، توفيق: الراعي والرعية ، تحقيق اياد الحسيني ، دار الغدير ، قم ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩ م ، ص ص ١٩ – ٢٠ .

([١٨])الشريف الرضي ، أبو الحسن محمد بن أحمد الحسين بن موسى الموسوي (ت ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م) : نهج البلاغة ، شرح وتحقيق عباس علي الموسوي ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م ، ص ٥١٧ .

جاء في نهج البلاغة من رسالة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بذلك إلى نظرية إن صلاح الأمة يتبعه صلاح السلطان.[١٩]وكانت مقولةأبن المقفع: " الناس على دين السلطان إلا القليل فليكن للبرّ والمروءة عنده نفاقً فسيكسد بذلك الفجور والدناءة في آفاق الأرض "[٢٠]قد سبقت رسالة اليعقوبي" مشاكلة الناس لزمانهم "، ومن المحتملأن يكون ابن خلدون بدوره قد اقتبسأيضا مقولة أبن المقفع ، وقد أصبحت مقولة أبن خلدون: " الناس على دين الملك " قولا مأثورا ما يزال الناسيتداولونه [٢١].

بين اليعقوبي في كتابه مشاكلة عامة الناس للحكام والنخب وتقليدهم والتشبه بهم في المظاهر الحضارية والثقافية والاجتماعية، بكل عصر والسير وفق ما يسير عليه علية القوم ؛ فيذهبون مذاهبها وصفاتها ولباسها وأفعالها وأخلاقياتها وأقوالها وسلوكياتها وعاداتها على قدر ما يرونه منها . وفي ذلك قوله: " فإن المسلمين في كل عصر تبع للخليفة يسلكون سبيله ويذهبون مذاهبه ويعملون على قدر ما يرون منه ، ولا يخرجون عن أخلاقه وأفعالهوأقواله " .[٢٢]

نستشف من رؤية اليعقوبي أن من الممكن أن يكون التقليد والتشبه أعمىفيجر وراؤه ما يجره من إيجابيات أو سلبيات ؛ فان تحسن أحوال العامة على سبيل المثال واستقامتها وصلاحها هو في حقيقته رهن باستقامة نظام الحكم وصلاحه . كما أن سوء الرعية يعود أولاً لسوء حكامها فضلاً للبعد عن الله فالرعية والحكام يخضعان للأوضاع الاجتماعية والسياسية العامة السائدة فذكر أسماء الخلفاء ممن اتخذوا المنجمين في

---

(١٩) الفكيكي : المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٢٠) أبن قتيبة الدينوري ، أبي محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) : عيون الأخبار ، تحقيق يوسف الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٥٤ هـ / ٢٠٠٣ م ، م ١ ، ص ٥٤ .

(٢١) أبن خلدون ، أبي زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الأشبيلي الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) : مقدمة أبن خلدون ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، بلا رقم الطبعة ، بلا سنة الطبع ، ص ٢٩ .

(٢٢) اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح بن عبد الله المنصوري (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) : مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر ، تحقيق مضيف الفرا ، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ، جامعة قطر ،السنة الخامسة ، العدد الخامس ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

دواوينهم للاهتداء بهم وليسوا من أهل الاختصاص ،ومن أنفقوا الأموال الطائلة في اللهو والشراب والترف، وسمحوا للجواري والمغنيات أن تكون لهن الكلمة في إدارة شئون البلاد .[٢٣]

كما ذكر اليعقوبي خلفاء تمسكوا بالعلم والحكمة فذكر عناوين كتب هندية ويونانية ترجمت في عهودهم فأتاحوا بذلك للرعية كافة الاتصال بالثقافات الأجنبة، وشجعوهم على تأليف الكتب التي كان من نتائجها نهضة فكرية ولما شاع في العصر العباسي الكلام والجدل والمناظرة التي تعتمد على الرياضة العقلية والأدلة المادية والحجج خاضت به الرعية .[٢٤]

ومثلما وجد اليعقوبي بين الحكام من التزموا العدل في معاملة الرعية ، وقدموا الأرزاق للمساكين وبنوا المساجد وحفروا الأنهار، ذكر النقيض من أولئك فيمن وصفهم بانهم نشروا الجور وشيدوا القصور واتخذوا الضياع أيام خلفاء بني العباس الذين توسعوا في سفك الدماء على التهمة، وشاطروا عمالهم في ميراثهم الخاص أو استولوا عليه كذلك أظهر الحكام الذي نقضوا حاجات الناس بسماحة بمجرد طلبها.[٢٥]

لقد تشارك وجهات النظر كل من الفلاسفة والكتاب والمؤرخين في مسألة التنبيه على حسن معاملة الرعية وصلاحها بصلاح حاكمها وحسن سيرته ومعاملته المنصفة العادلة لرعيته فجاءت آراء الفارابي من واقع مجتمعه ليتوجه منه إلى مخاطبة عموم البشر في مدينته الفاضلة ؛ فقد تركزت دعوته إلى إقامة المجتمعات على قواعد أساسية هي العقل والوفاء والحب وليس الحسد والقوة والخصام ، كما عني الفارابي بصلاح العامة من خلال نظريته عن رئيس مدينته الفاضلة؛ فوضع صورة فلسفية لشروط ومواصفات من يتصدى لرئاسة مدينته الفاضلة اذ جمع فيها الصحة الجسمية والنفسية والسلوكية والعلم والعفة في التعامل والعزوف عن المادة (الدرهم والدينار). [٢٦]

ثالثاً : الاختلافات بين الناس :

(٢٣) اليعقوبي : المصدر نفسه ، ص ص ١٨٨- ١٨٧ .

(٢٤) اليعقوبي : المصدر نفسه ، ص ٢٠ .

(٢٥) اليعقوبي : المصدر تفسه، ص ٢٠٣ – ٢١٠ .

(٢٦) الفارابي : المصدر السابق ، ص ص ١٣ – ١٤ .

في دراسة التاريخ الاجتماعي لأي عصر من العصور ،لا يمكن لأي باحث الفصل بين جوهر الشخصية الذاتية لأي فرد من أفراد المجتمع ، والمتمثلة بالأخلاق والقيم والمبادئ والعواطف ، وبين الظواهر الاجتماعية العامة والمتنوعة التي تبرز في المجتمعات ، فالأفراد غالبا ما يتأثرون ويؤثرون في الظواهر الاجتماعية، ادن فمبدأ التأثير والتأثر مسألة قائمة لا يمكن نكرانها في عامة الدراسات والأبحاث الحضارية .

كان الجاحظ مفكراً وناقداً ومؤرخاً ومتكلماً ؛ فعدت كتاباته الأكثر شعبية وتداولاً ، لا سيما في مجال الحياة الاجتماعية في العصر العباسي ، نظراً لواقعتيها وموضعيتها؛ فقد نزل الجاحظ إلى المجتمع وأستكشف جوانب حيوية اجتماعية واقتصادية لفئاته المتعددة وطبقاته وعاداته وتقاليده ومعتقداته وثقافته الشعبية؛ فكانت لكتاباته أثر مهم في فهم روحية العصر .

لقد قدم الجاحظ وفقاً لمنهجه الواقعي نصوصاً خطيرة تصور الحياة اليومية للمجتمع الإسلامي في عهد الخليفة العباسي المأمون (١٩٨ – ٢١٨ هـ _ ٨١٣ – ٨٣٣ م) ، الذي أتصف عصره بانصهار عدة حضارات في بودقة الحضارة العربية الإسلامية .

ومن بين ملاحظات الجاحظ الضاربة بجذورها بعمق البيئة الاجتماعية ، وفي خضم تحليله لعناصر السلوكيات الاجتماعية ، نجده على سبيل المثال يرد على مسألة الدعاية (الإشاعات) التي تنال بسوء من الأشخاص وقد رد عليها بقوله : " فليس في طعن الطاعن عن دلالة ، اذا كان المطعون عليه كاملاً فاضلاً وأجماع الناس كلهم على صواب أمر لا ينال ".[٢٧]

ومن المسائل السلوكية الاجتماعية التي شخصها الجاحظ حول الأنسان كفرد وكمجموعة هي : صفة الحسد والحاسد ، والطمع والعداوة ، والتملق والمتملقين والنفاق والمنافقين والاستغلال والمستغلين ، وأعتبرالجاحظ هذه الصفات الاجتماعية هي المسببة للصراعات بين أفراد وفئات المجتمع العربي في العصر العباسي .[٢٨]والتي يقول عنها :" والعداوة لها عقل توسوس بها نفسها ؛ فينجم قرنها وتبدي صفحتها في أوقات الهتر ، وإلا فأنها كامنة تنتهز أزمنة الفرص. والحسد مسلوب العقول بإزاء الضمير في كل حين وزمان

(٢٧)سلوم ، داوود: الجاحظ والمنهج العلمي في البحث ،مجلة كلية الآداب ،جامعة بغداد ، السنة ١٩٨٢ م ، المجلد الثاني ،العدد ثلاث وثلاثون ،ص ٢١٣.

(٢٨)الجاحظ ، أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري(ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨ م) : الرسائل ، الفصول المختارة من كتب الجاحظ أختيار عبيد الله بن حسان ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م ، ج ١ ، ص ص ٢٣٨ – ٢٦٤ .

ووقت ، ... والحاسد لا يزول عن طريقته إلا بزوال المحسود عليه عنده أو العداوة تحدث لعلة فإذا زالت العلة زالت معها ، والحسد تركيب لعلة ، يحسد عليه فهو لا يزول إلا بزواله " . [٢٩]

إنصفة الحسد غالبا ما تكون سبباً من أسباب تكوَّن العداوة ، وهي مرحلة أولية من مراحل الصراع الاجتماعي ؛ فالعلاقات الودية قد تسبق الحسد والحسد يسبق العداوة والعداوة تسبق الصراع ؛[٣٠]فالحسد كما يراه الجاحظ هو جوهري بالنفس بينما العداوة تكتسب اكتساب ، وان العداوة تنتهي والحسد لا ينتهي فهو غض جديد ، حرم أو أعطي لا يبيد ؛ فكل حاسد عدو وليس كل عدو بحاسد ، وحسد الجاهل أهون شوكة وأذل محناً من حسد العارف الفطن ؛ فالأول هو الحسد الخفيف الذي يمارسه الجاهل لبساطة وسذاجة تفكيره في توجيه شروره نحو الآخرين ، في حين يكون الثاني حسد العارف أشد وأقسى .[٣١]كما لاحظ الجاحظ بعينه الثاقبة الفاحصة لكل شاردة وواردة في سلوكيات أفراد المجتمع ، إن حياة أفراد المجتمع العربي الإسلامي في العصر العباسي كانت قائمة على العوامل المعنوية(قيم وأعراف ودين وعلم) أكثر منها على العوامل المادية (الثروة ، الملكية ،الدخل).[٣٢]كما انه قدم ملاحظاته في تأويلات وتعليلات فكرية وعقلية دقيقة ، لأسباب ومسببات الظواهر والصفات السلوكية المجتمعية ، وبين سبل الخروج منها بقوانين تصورها أونتائج تنبأ بها فقد تنبه الجاحظ على سبيل المثال لأوضاع الزنج الاجتماعية والاقتصادية المتردية ، اذ كانت أوضاع تنذر بالخطر ، ولذلك وضع رسالة فخر السودان على البيضان . [٣٣]

لقد رجح الكندي [٣٤]أنيكون سبب اختلاف الناس هو التحلي بالخصال السائدة وبحسب غلبة القوة العقلية على نفوسهم ، وهي القوة التي تقودهم باتجاه مزيد من التحلي بهذه الخصال ، وذلك بحسب طاقة

([٢٩])الجاحظ : الرسائل ، ج ١ ، ص ٢٤٣ .

([٣٠])العاني ، عبد اللطيف عبد الحميد: المصدر السابق ، ص ص ١٤ – ١٣ ؛عليوي ، موج عراك : ملامح النظرية الاجتماعية في التراث العربي الجاحظ أنموذجا ، بيروت ، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع ، بلا رقم الطبعة ، ٢٠١٣ م ، ص ص ١٠ – ١١ .

([٣١])الجاحظ : المصدر السابق والجزء ، ص ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ – ٢٤٨ .

([٣٢])عمر ، معن خليل: نحو علم اجتماع عربي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٤ م ، ص ص ١٥٤ – ١٥٥ ، ١٥٦ .

([٣٣])الجاحظ : المصدر السابق والجزء ، ص ١٢٣ .

([٣٤]) (الكندي) : هو أبو يوسف يعقوب بن أسحاق ، من أبناء ملوك كندة ن تنقل ما بين البصرة وبغداد والكوفة . يعد أول فلاسفة المسلمين ، لقبه البعض بالفيلسوف الثاني بعد سقراط . كان بالأصل مهندسا ولكنه خاض في كل العلوم بالطب والرياضيات والفلك والمنطق والنفس والموسيقى . وتميز باستقلاليته بفكره ، وبلغت تصانيفه على ما يربو الثلاثمائة (٣٠٠) واكثر . أتقن اللغات اليونانية

الأنسان .[٣٥]أما أبن سينا فقد جذر مسألة اختلاف الناس باعتبارها أصل من أصول حياتهم ، وجزء مهم من أحوالهم العامة وجانب من جوانبحيوية مجتمعهم . وعليه يقرر أبن سينا إن اختلاف الناس أمر طبيعي وضروري فهم يختلفون في اكتساب الأقوات واقتنائها وفي كسب الأرزاق إلى أقصى حدود الاختلاف ،وان التشابه بالرأي بين جميع الناس يعني انه لا حياة قائمة لهم وعليه فليس لهم لا سعادة ولا بؤس ، في حين أن الاختلاف بين الناس هو الأساس في ديمومة حياتهمواستمرارها . وهذا ما يجعل كل فئة من المجتمع قانعة بما قسم الله لها ، وهو من دلائل الحكمة وشواهد لطف التدبير وأماراتالرحمة .[٣٦]

من المحتمل جدا أن يكون الغزالي[٣٧]قد تأثر بآراء من سبقه من الكتاب والمؤرخين والفلاسفة في حديثه عن المجتمع بانه العلاقة بين الفرد والجماعة ، فقد أعاد التأكيد على أنالمجتمع ظهر لعدم قدرة الإنسان على العيش بمفرده لعدم إمكانيته في توفير متطلباته واحتياجاته ، ولأن العلاقات الاجتماعية لن تكون محصورة على الأمور المادية ، لذا فان الألفة والمحبة والانسجامهو ثمرة العلاقات الاجتماعية المبنية على حسن الخلق والتوافق ، وان سوء خلق الفرد مع الجماعة يثمر التباغض والتحاسد والأدبار .[٣٨]

رابعاً :تقسيم طبقات المجتمع :

إن تحديد الطبقات الاجتماعية لأي عصر من العصور، امر في غاية الأهمية ذلك انه يكشف للباحث التنوع في المستويات في السكن والمعاش والدخل والملكية ومزاولة المهن فضلا عن الأحساب والأنساب والمكانة العلمية والدينية والمهنية .

والرومانية والسريانية والفهلوية . للمزيد انظر : النديم : الفهرست ص ص ٤١٤ ؛ القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ج ٢ ، ص ص ٤٩٣ – ٤٩٦ ؛ البيهقي : تتمة صوان الحكمة ، ص ٤١ .

([٣٥]) عبد الحسين ، لاهاي: الملامح الاجتماعية في أعمال عدد من الفلاسفة المسلمين ، الموسوعة الثقافية ، العدد ٢٩ ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ م ، ص ٣٢ ؛ العاني ، عبد اللطيف عبد الحميد: المصدر السابق ، ص ص ٢٨ – ٢٩ .

([٣٦]) الخشاب ، احمد: التفكير الاجتماعي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ م ، صص ٢٥٠ – ٢٥١ .

([٣٧]) الغزالي : هو أبو حامد محمد الغزالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري المتوفى سنة ٥٠٥ هـ / ١١١١ م من علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري .كان فقيها أصوليا عارفا بالفلسفة وصوفياً ومتكلماً . من أشهر كتبه أحياء علوم الدين . للمزيد أنظر : الغزالي ، أبو حامد محمد الطوسي النيسابوري (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) : المنقذ من الضلال ، المقدمة ، تحقيق جميل صليبا وكامل عياد ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٩٦٧ .

([٣٨])الجبوري ، عبد الرزاق جدوع : الفكر الاجتماعي عند الإمام الغزالي دراسة تحليلية في الفكر الاجتماعي المقارن ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م ، ص ٩٨ .

قسم عدد من الفلاسفة والمفكرينوالكتاب المجتمع إلى أصناف بحسب مستواهم المادي وبحسب مهنهم ووظائفهم وحرفهم ، والأكثر من ذلك بحسب أخلاقياتهم . فقد اهتم أخوان الصفا على سبيل المثال بالبيئة الإيكولوجية وأثرها على سلوك الناس ، وصنفوا أفراد المجتمع الإسلامي بالعصر العباسي إلى فئات اجتماعية بحسب مهنهم .[٣٩]

يعتبر نهج البلاغة لما جمع من خطب ورسائل وكلام ووصايا لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) المعلم والمصنف العربي الأول في العصر العباسي الذي وضع قواعد لدراسة المجتمع ، بتعيين أنواع الجماعات وطبقاتها والتفصيل في عدد من مميزات وخصائص ومركز وأهمية كل طبقة في المجتمع ، والطرق التهذيبية والإصلاحية التي يستعان بها على تقوية عناصرها وإصلاح معايشها وفق ما تقتضي سنة البقاء والتطور.[٤٠]

ففي نهج البلاغةيبين عهد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لمالك الأشتر ،تقسيماته لطبقات المجتمع اذ يقول (عليه السلام) : " وَأعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طبقاتٌ (مراتب) لا يصلح بعضها إلا ببعض ، ولا غنى بِبَعْضها عن بعضٍ : فمنها جنود الله ، ومنها كتاب العامة والخاصة ، ومنها قضاة العدل ، ومنها عمال الإنصاف والرفق ، ومنها أهل الجزية (ضريبة تؤخذ من أهل الذمة) والخراج من أهل الذمة (أهل الكتاب الذين يعيشون في عهدة المسلمين بموجب عهد بينهما) وسلمة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة ".[٤١]

ويشرح أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في نفس الخطبة خصائص بعض طبقات المجتمع المهمة ، ومنهم الجنود والتجار وذوي الصناعات ، وبين طبيعة ضعف الطبقة السفلى وأساليب مساعدتها ، بقوله (عليه السلام): " فالجنود بأذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين ، وسبل الأمن ، وليس تقوم الرعية إلا بهم ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيملا يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ، ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب ، لما يحكمون من المعاقد ، ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها ، ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار ، وذوي الصناعات فسيما يجتمعون عليه من

([٣٩])الفكيكي ،توفيق: الراعي والرعية ، ص ١٢٨ .

([٤٠])الشريف الرضي : المصدر السابق ، ص ٦٧٨ .

([٤١])الشريف الرضي : المصدر نفسه والصفحة .

مرافقهم ويقيمونه من أسواقهم ، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم ، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم ".[٤٢]

أما الجاحظ فقد وظف القيم الاجتماعية كالكرم والبخل في مسألة تقسيم المجتمع إلى كرماء وبخلاء ، ويعد الجاحظ أبرز من قسم طبقات المجتمع في العصر العباسي ، وهي ما تزال صالحة لهذا العصر ومنها هذا التقسيم :

أ- الأعلين ويسميهم أيضا الأشراف أو الطبقة العليا .

ب-الأوسطين ويسميهم أيضا بالطبقة الوسطى .

ت- الأدنين ويسميهم أيضا العامة من الناس .[٤٣]

من الملاحظ أن العامة رغم خصائص بعض طبقاتهاوالتي لا تقل أهمية عن الطبقة الخاصة في المجتمعات الحضارية ، إلاأننا قد نجد البعض من الكتاب يهملها أو يستهين بها كأبن الفقيهالهمذاني اذ انه أظهر علنا استصغاره واستخفافه وإهماله المتعمد لأفراد العامة في تقييمه الناس وأهمية طبقاتهم بنظره، بنقله الأقوال عنها كمثل هذا القول : "ملوك قدمهم الاستحقاق ، ووزراء فضلهم الفطنة والرأي وعلية أنهضهم اليسار، وأوساط ألحقهم التأدب والناس بعدهم زبد جفاء وسيل غثاء ... ثم الناس بعدهمأشباه البهائم أن جاعوا ساموا وان شبعوا ناموا".[٤٤] ومثل هذا الرأي تجده في مقدمة كتاب المقدسي " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " بإعلانه انه لن يترجم إلا للمشاهير ، وإنما العامة هم عنده أناس مجهولين ولذلك فأنه سيهملهم فيقول في مقدمة كتابه انه لن يذكر : " إلا صدراً مشهوراً أو علماً أو سلطاناً جليلاً إلا عند ضرورة أو خلال حكاية " ! ويبين انه لو أضطر للحديث عن شخص خلاف تلك الفئات المميزة في المجتمع فلن يطلق عليه أسمه إنما" نسميه رجلاً ونذكر محله لئلا يدخل في جملةالآجلة " !! .[٤٥]

ومع أصرار البعض على إهمال الطبقة العامة ولا سيما السفلى، إلا أنهذا الأمر دفع بالبعض الآخر إلى تأليف المصنفات فيهم بالعناوين البارزة كمثل كتاب الجاحظ " البرصان والعرجان والعميان والحولان

([٤٢])الشريف الرضي : المصدر نفسه ، ص ٦٧٨ .

([٤٣])العاني ، عبد اللطيف عبد الحميد: المصدر السابق ، ص ٢٠ .

([٤٤]) أبن الفقيه الهمذاني ، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن أسحاق الإخباري (ت نحو ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م) : كتاب البلدان، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م ، ص ٥٧ .

([٤٥])المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي البشاري (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، بلا دار نشر ، ليدن ، الطبعة الثانية ، ١٩٠٦ م ، ص ٨ .

"[٤٦]ومصنف " أخبار الحمقى والمغفلين "[٤٧]كتاب " عقلاء المجانين ".[٤٨]ورسالة الجاحظ في " فضل السودان على البيضان " .[٤٩]

وكذلك نجد أبن الأثير يفرد صفحات في كتابه الكامل في التاريخ للحديث عن معاناة الفقراء والمساكين والضعفاء والمرضى ، لاسيما ظاهرة الغلاء في ظروف الأزمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية المسببة للمجاعة أو في فترات حدوث الأوبئة ، كما ولم تفته الإشارة إلى أسعار الخضراوات والفواكه ومستوى غنى كل فئة من هؤلاء الفقراء .[٥٠]

نستطيع أن نتبين من كلام أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن طبقة الضعفاء المهمشين هي الحلقة الأضعف في المجتمع . ولقد حاول (عليه السلام) أن يلفت النظر إلى مراعاتهم لاسيما من قبل الحاكم برسالته لمالك الأشتر قائلاً : " ثم الله الله في الطبقة السفلى من لا حيلة لهم ، من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس (شدة الفقر) والزمنى (أصحاب العاهات) فإن في هذه الطبقة قانعاً (السائل) ومعتراً (المتعرض للعطاء بلا سؤال) ، وأحفظ لله ما أستحفظك من حقه فيهم ، وأجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلدٍ ، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى ...فلا تشخص همك عنهم ، ولا تصعر خدك (تتكبر عليهم) لهم ، وتفقد أمور من لا يصِلُ إليك منهم ممن تقتحمه العيون (تزدريه) وتحقره الرجال ؛ ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع إليك أمورهم ، ثم أعمل فيهم بالأعذار (صار ذا عذر فيه) إلى الله يوم تلقاه " .[٥١]

الخاتمة

([٤٦])الجاحظ : كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

([٤٧])أبن الجوزي ، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١م) : أخبار الحمقى والمغفلين ، تحقيق عبد الرحمن عبد الأمير مهنا ، دار الفكر اللبناني ، بلا مكان الطبع الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

([٤٨]) أبن حبيب النيسابوري ، أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب (ت ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م) : عقلاء المجانين ، تحقيق عمر الأسعد ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

([٤٩])الجاحظ : الرسائل ، ج ١ ، ص ص ١٢٥ – ١٦٢ .

([٥٠])أبن الأثير : م . س ، ج ٩ ، ص ص ٣٧ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢٢٥ ، ٥٤١ .

([٥١])الشريف الرضي : المصدر السابق ، ص ٦٨٧ .

يزداد الاهتمام بالتاريخ الاجتماعي يوماً بعد يوم ، وبات واضحاً أن المرجعية الفكرية والثقافية والدينية والفلسفية فضلا عن السياسية والاقتصادية لها دور مهم وخطير في توجيه الفعل الاجتماعي ، في أي عصر من عصور تاريخ الحضارة البشرية ، وإن التاريخ هو أساس وقاعدة هذه المرجعيات.

لقد بدأ مفكرو وفلاسفة وأدباء العصر العباسي بادئ ذي بدء بتشخيص أسباب تكون المجتمعات البشرية ومن ثم تقسيم الطبقات وطبيعة تشكلها، ليؤسسوا معرفة ثقافية اجتماعية تراكمية ، وليعرجوا بعدها إلى بيان خصائص وأهمية كل طبقة كما جاء في نهج البلاغة .

كان الوقوف على أسباب الاختلاف والتآلف بين أفراد المجتمع . من أهم الجزئيات المهمة التي ركزت عليها المصادر ، ولعل مسألة إصلاح الرعية هي الجوهر الأكثر أهمية للعديد من المواضيع الاجتماعية التي تناولتها مصادر العصر العباسي .

فيما انحازت بعض النصوص في نهج البلاغة إلى طبقة الفقراء والمهمشين ، باعتبارها الحلقة الأضعف بين طبقات المجتمع والحث على النظر إلى حاجات أفرادها برؤية عقلانية منصفة ومن المحتمل جدا ان تكون هذه الرؤية سبباً ومحفزا لظهور المصنفات التي أهتمت بتسجيل الأخبار المنوعة لفئات مهمشة من أفراد هذه الطبقة حتى ولو كانت على سبيل الطرفة .

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً : قائمة المصادر :

١. أبن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) : الكامل في التاريخ دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، بلا رقم الطبعة ، بلا سنة الطبع .

٢. أبن الجوزي ، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١م) : أخبار الحمقى والمغفلين ، تحقيق عبد الرحمن عبد الأمير مهنا ، دار الفكر اللبناني ، بلا مكان الطبع الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

٣. أبن حبيب النيسابوري ، أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب (ت ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م) : عقلاء المجانين ، تحقيق عمر الأسعد ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

٤. أبن خلدون ، أبي زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الأشبيلي الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) : مقدمة أبن خلدون ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، بلا رقم الطبعة ، بلا سنة الطبع .

٥. أبن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبراهيم بن لأبي بكر البرمكي الأربلي (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) : وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان ، تحقيق يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .

٦. أبن الفقيه الهمذاني ، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن أسحاق الإخباري (ت نحو ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م) : كتاب البلدان عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

٧. أبن قتيبة الدينوري ، أبي محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) : عيون الأخبار ، تحقيق يوسف الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٥٤ هـ / ٢٠٠٣ م .

٨. أبو العباس موفق الدين احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) : عيون الانباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، دار الفكر ، بيروت ١٩٥٧ م ، ١٩٦٥ م .

٩. البيهقي ، ظهير الدين (ت ٥٦٥ هـ / ١١٦٩م) : تتمة صوان الحكمة أو تاريخ حكماء الإسلام تحقيق ونشر محمد كرد علي ، دار بيبليون ، باريس بلا رقم الطبعة ، ٢٠٠٧ م .

١٠. الجاحظ ، أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) :

أ- الرسائل ، الفصول المختارة من كتب الجاحظ أختيار عبيد الله بن حسان ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م .

ب- كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

١١. الشريف الرضي ، أبو الحسن محمد بن أحمد الحسين بن موسى الموسوي (ت ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م) : نهج البلاغة ، شرح وتحقيق عباس علي الموسوي ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م .

١٢. الغزالي ، أبو حامد محمد الطوسي النيسابوري (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) : المنقذ من الضلال ، تحقيق جميل صليبا وكامل عياد ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٩٦٧ .

١٣. الفارابي ، أبي نصر محمد بن محمد (ت ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م) : آراء المدينة الفاضلة ومضاداتها ، تحقيق علي بو ملحم ، دار ومكتبة الهلال بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ م .

١٤. القفطي ، أبي الحسن جمال الدين علي بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، تحقيق عبد المجيد دياب مؤسسة الخانجي ، مكتبة ابن قتيبة ، مصر، الكويت ، مكتبة المثنى بغداد .

١٥. المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي البشاري (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، بلا دار نشر ، ليدن ، الطبعة الثانية ، ١٩٠٦ م .

١٦. النديم ، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) : الفهرست ، تحقيق يوسف علي الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الثالثة ، ٢٠١٠ م

١٧. اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح بن عبد الله المنصوري (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) : مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر ، تحقيق مضيف الفرا مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ، جامعة قطر ، السنة الخامسة ، العدد الخامس ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .

١- الأهواني، أحمد فؤاد: في عالم الفلسفة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٩ م .

٢- الجابري ، محمد عابد: أبن رشد سيرة وفكر دراسة ونصوص ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ م .

٣- الجبوري ، عبد الرزاق جدوع: الفكر الاجتماعي عند الإمام الغزالي دراسة تحليلية في الفكر الاجتماعي المقارن ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م .

٤- الخشاب ،احمد: التفكير الاجتماعي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ م .

٥- سلمان ، عبد علي: الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، دار أبن الأثير ، جامعة الموصل للطباعة والنشر الموصل ، بلا رقم الطبعة ، بلا سنة الطبع .

٦- الزركلي ، خير الدين: الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السابعة عشر ، ٢٠٠٧ م.

٧- سارتون، جورج: تاريخ العلم ، ترجمة ابراهيم بيومي مدكور ومحمد كامل حسين وقسطنطين زريق ومحمد مصطفى زيادة ، دار المعارف المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٦م.

٨- العاني ، عبد اللطيف عبد الحميد: اساطين علم الاجتماع من العرب المسلمين والعلماء الأوربيين والغربيين دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ، بلا رقم الطبعة ، ١٤٣٥ هـ / ٢٠٦م .

٩- عليوي، موج عراك: ملامح النظرية الاجتماعية في التراث العربي الجاحظ أنموذجا ، بيروت ، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع ، بلا رقم الطبعة ، ٢٠١٣ م .

١٠- عمر ، معن خليل: نحو علم اجتماع عربي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٤ م

١١- الفكيكي، توفيق: الراعي والرعية ، تحقيق اياد الحسيني ، دار الغدير ، قم ، الطبعة الاولى ، ١٤٢٩ م.

١٢- يحيى ، جلال: تاريخ الفكر الاجتماعي ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، بلا رقم الطبعة ، ١٩٨٤م.

ثالثاً : الدوريات والموسوعات والرسائل والمجلات والجرائد :

أ- الدوريات :

١- دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة محمد ثابت الفندي وأحمد الشنتناويوابراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس ، بلا دار النشر ، بلا مكان النشر ، بلا رقم الطبعة ، ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م .

٢- عبد الحسين ، لاهاي: الملامح الاجتماعية في أعمال عدد من الفلاسفة المسلمين ، الموسوعة الثقافية ، العدد ٢٩ ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ م .

ب-الرسائل :

١- عتيقة ، جاب الله وبلاوان حسينة : طبيعة النظرية الأخلاقية عند أبن رشد ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم الفلسفة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة خميس مليانة ٢٠١٤ – ٢٠١٥ م .

ت-المجلات واالصحف :

١- البنغلاح، حسن علي: أبن رشد عظمه الغرب وخذله العرب ، جريدة أخبار الخليج ، الثلاثاء ١٩ / ديسمبر / ٢٠١٧ م .

٢- الحمصي ، باسل: أبن رشد والتيه العربي ، مجلة رؤية سورية ، العدد ٣٠ / نيسان / ٢٠١٦ م .

٣- سلوم ، داوود: الجاحظ والمنهج العلمي في البحث ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، السنة ١٩٨٢ م ، المجلد الثاني ، العدد ثلاث وثلاثون ، ص ٢١٣ .

٤- العمري ، عبد الحفيظ: أبن رشد الحفيد هدية الشرق للغرب ، جريدة الجمهورية (اليمنية) ، ٢٠ / ٩ / ٢٠١٣ م .

٥- وطفه ، علي أسعد: في مفهوم الأخلاق قراءة فلسفية معاصرة ، مجلة شؤون اجتماعية ، العدد ١١٩ السنة الثلاثين (٣٠) ، ٢٠١٣ م .